نص كلمة السيد الحكيم في الدورة الخاصة بالتطرف الديني والإرهاب في أفريقيا وآسيا التي أقامتها منظمة الأديان الدولية في جنيف 2024

بسم الرحمن الرحيم

السادة والسيدات.. السلام عليكم ..

وهذه تحية الإسلام وهو السلام .. السلام الذي تطمئن إليه نفوس البشر وتستقر عنده الهواجس والظنون..

فيكون الأمن والوئام بدلا من الخوف والقلق..

قال تعالى في محكم كتابه العزيز ..

بسم الله الرحمن الرحيم

"يَا أيَهَا النَاسُ إنِا خَلَقْنَاكُم ّ ِ من ذَكَرٍ وأنثى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لتِعَارَفوُا إنِ أكْرَمَكُمْ عِندَ ّ ِ أتْقَاكُمْ إنِ َ عَليِمٌ خَبِيرٌ"

أرجو أن تثمر هذه الندوة بتوصيات فاعلة لمعالجة أخطر المظاهر والآفات الفكرية التي تهدد حياة الإنسان وآمن الشعوب.. كيف لا؟ وهو التطرف الذي يغذي الكراهية والتمييز بين الإنسان وأخيه الإنسان..

هذا التمييز الذي نهى عنه إسلامنا الحنيف.. وخير مصداق لذلك كلام الإمام علي بن أبي طالب (ع) في رسالته لمالك الأشتر حين ولاّه مصر أبان سنوات حكمه بقوله .. "وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك من عفوه وصفحه".

وحتى الذين يختلفون معنا في الدين والعقيدة ، يوصينا الإسلام في القران الكريم بالتودد إليهم وبناء علاقات التعايش السلمي معهم.. يقول الله تعالى "لايَنْهَاكُمُ اللّه عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلوُكُمْ فِي الدينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أنْ تَبَروهُمْ وَتُقْسِطُوا إلِيْهِمْ إنِ الله يُحِب الْمُقْسِطِينَ".

إن التطرف والإرهاب والكراهية والتمييز بين الشعوب.. مفاهيم منحرفة لا دين لها .. وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بظروف وأدبيات بيئة ثقافية واقتصادية وسياسية محددة .. ومن الخطأ الجسيم أن ننظر إليها بمعزل عن جذورها الحقيقية التي تتغذى على تلك الظروف أينما حلت في أي مكان من العالم.

التاريخ يعج بمآسي التطرف والإرهاب والتمييز العنصري.. والأمر لا يقتصر على منطقة جغرافية في العالم .. فقد عانت أوربا والامريكيتان عقوداً طويلة من ويلات التطرف والتمييز العنصري على حساب اللون والجنس والعرق.. وما زالت تعاني من آثارها الثقافية والفكرية إلى يومنا هذا.

لامعالجة للتطرف في العالم من دون تشخيص الأسباب التي تغذيه .. وحينما تتحدد الأسباب الحقيقية

سيتمكن العالم بتعاون مؤسساته المعنية ، من المواجهة والمكافحة المنهجية .. ومن الخطر الكبير أن نلحق التطرف بدين معين.. أو نحصره بجماعة أو جهة معينة.. الأسباب الموضوعية هي التي تخلق الفكر المنحرف والمتطرف.. والجهات المستفيدة هي التي تعمل على إذكاء تلك الأفكار وتؤججها في الوقت الذي تختاره وفقاً لمصالحها وأغراضها الخبيثة.

فهناك عدة أسباب تغذي التطرف في العالم، ومن أبرزها:

١- الفقر والبطالة: حيث يمثل الفقر ونقص الفرص الاقتصادية عاملاً أساسياً في دفع الأفراد نحو التطرف للبحث عن حلول لمشاكلهم الاقتصادية.. فالعوز المادي والحرمان الاقتصادي يدفع الإنسان نحو الجريمة والتطرف إن لم يكن مسلحاً بالوعي وانضباط النفس.

٢-الظلم والعنف الأسري والمجتمعي: إن ثقافة الظلم والعنف الأسري والمجتمعي وانتهاكات حقوق الإنسان تؤدي جميعها إلى تأجيج الغضب والإحباط وتشجيع الأفراد على التطرف والميل نحو الكراهية.

الصراعات والنزاعات الإقليمية: إن الصراعات والنزاعات المسلحة تؤدي إلى نشوء بيئة مواتية لانتشار التطرف والكراهية.. فبديل السلام والأمن والاستقرار.. هو العنف والتطرف والصراع. الإقصاء والتهميش: فعندما يشعر الأفراد بالإقصاء والتهميش من المجتمعات التي يعيشون فيها، فإنهم قد يتجهون نحو التطرف كوسيلة للتعبير عن استيائهم ثم ينتمون إلى مجموعات تقدم لهم الدعم من أجل استغلالهم وإدارتهم. الدعاية السلبية المؤدلجة:حيث تساهم الدعاية المتطرفة ذات الأبعاد الإيدلوجية المنحرفة في تشجيع الأفراد على اعتناق وتبني أفكار ومواقف متطرفة تجاه جماعات أو مؤسسات معينة من أجل نشر الكراهية بينهم. الجهل ونقص التعليم: يؤدي الجهل ونقص التعليم إلى استغلال الأفراد ورسم أدوارهم من قبل الجماعات المتطرفة التي تستغل هذه الفجوة لترويج أفكارها وتشويه الحقائق وقلبها.

وعندما تتفاعل هذه العوامل مع بعضها فهي تخلق بيئة تشجع على التطرف والانحراف وبالتالي فإن مكافحة التطرف تتطلب التصدي لهذه الأسباب ومعالجتها بشكل شامل.

لقد عانينا في العراق كثيراً من آثار الجماعات المتطرفة كداعش الإرهابي وتنظيم القاعدة والتنظيمات التكفيرية التابعة لهما.. التي استباحت الحرث والنسل وعملت على اذكاء الحرب الطائفية بين أبناء الشعب الواحد.. ولولا وعي العراقيين وحرصهم على وحدة بلدهم ولولا حكمة مرجعيتهم الدينية المتمثلة بالإمام السيستاني (دام ظله الوارف) .. لما استطاعوا مواجهة تلك الجماعات المتطرفة وطردهم من أرض العراق وملاحقتهم في كل مكان.

ليس دفاعاً عن العراق فقط.. بل عن شعوب المنطقة والعالم أيضا.

إن العالم بحاجة إلى سياسات دولية شاملة لمكافحة التطرف وهي تتطلب جهوداً متعددة المستويات تشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والإعلامية ، تتلخص على النحو الاتي:

١- تعزيز التعاون والتنسيق بين الدول والمنظمات الدولية لمواجهة التطرف وتبادل المعلومات والخبرات.

توفير برامج تعليمية وتثقيفية لتعزيز الوعي بالقيم السلمية ومكافحة التطرف من خلال التعليم والتدريب. تعزيز العدالة الاجتماعية وضمان حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع. خلق فرص العمل وتعزيز التنمية الاقتصادية في المجتمعات المعرضة للتطرف للحد من الاستياء والإحباط. تشجيع الحوار الثقافي والديني وتعزيز التسامح والتعايش السلمي بين الثقافات والمجتمعات المختلفة. التصدي لمفاهيم وسلوكيات التطرف على وسائل التواصل الاجتماعي عبر تنظيم المحتوى الرقمي وتعزيز الوعي ومكافحة الدعاية السلبية المروجة للكراهية والتمييز والعنصرية. تعزيز دور وسائل الإعلام في نقل رسائل سلمية وتوعوية للجمهور ، بمخاطر التطرف وآليات التصدي له. ايقاف استمرار النزاعات والصراعات المسلحة في العالم والمنطقة.. وتشجيع أساليب الحوار والاعتراف بالآخر.

وجدير بالذكر ما يحدث اليوم من انتهاكات جسيمة بحق النساء والأطفال من قبل الكيان الإسرائيلي الغاصب في فلسطين يأتي على الرغم من دعوات وقف اطلاق النار والذهاب إلى حوار شامل وعادل ويتجاهلها.

إن مثل هذه الأساليب الوحشية الصادرة عن الكيان الإسرائيلي ، تمثل صورة واضحة عن مفهوم التطرف الذي يختار القتل والاستهانة بالآخر وعدم الاعتراف بحقوق الآخرين رغم كل دعوات التهدئة والحوار.

إن سياسات القتل والتدمير والتجويع والحصار باتت أبرز ملامح التطرف.. وهي ذاتها التي تدفع الآخرين الى سلوك التطرف ونتائجه وتداعياته.

السادة والسيدات الكرام ...

إن مواجهة التطرف أمر مركب يحتاج أولاً إلى دقة التشخيص وثم شجاعة المعالجة.. وإلى تغليب النموذج الإيجابي الذي يميز الخير من الشر.. فحينما تكون هناك مفاهيم وسلوكيات متطرفة لدى جماعة تنتمي بالظاهر إلى دين أو جماعة سياسية معينة.. علينا أن نتفحص وننظر في ذات الجهة إلى من يختلفون عنهم في التفسير والتأويل وطبيعة المفاهيم الفكرية.. وأن لا نأخذ أحداً أو جهةً أو ديناً بجريمة وجريرة المنحرفين عنهم.

فالضالون لا يمثلون أصحاب المنطق السليم والفهم الصحيح.. وعزلهم عن الصلحاء ، يشجع على بيان الحقائق و إزالة الالتباس لدى الناس البسطاء.

أسأل ﷲ تعالى أن ينعم على البشرية جمعاء بالأمن والسلام..

وأن يجنب شعوب العالم مفاهيم العنف والتطرف وآثار الكراهية والعنصرية..

وأن يلهم الخيرين وأصحاب الفضيلة الصبر في الاستمرار على توعية الناس ومكافحة أسباب التطرف..

والسلام عليكم ورحمة ﷲ وبركاته..